أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

دراسة

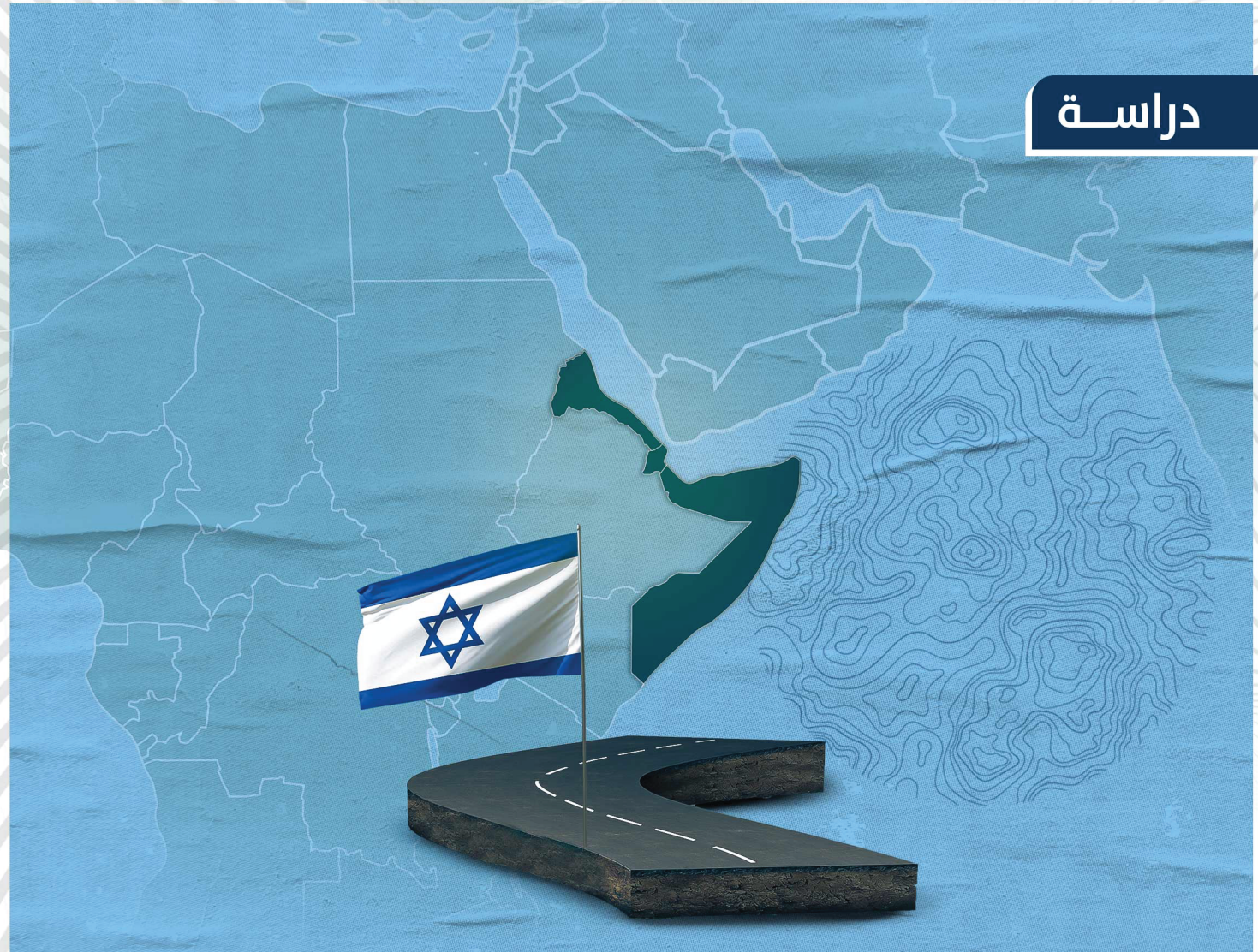

خارطة الطريق الإسرائيلية في القرن الإفريقي

إعداد: د. عدنان أبو عامر

أيار /مايو 2023

dimensioncenter.net

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية - ©2023

info@dimensionscenter.net

تمهيد

كشفت الخطوات المتسارعة باتجاه التطبيع السوداني الإسرائيلي الوشيك، وقبلها زيارة الرئيس التشادي لإسرائيل، وما سبق هذه الخطوات من تطبيع "مغربي – إسرائيل"، عن الأطماع الإسرائيلية في إفريقيا والقرن الإفريقي على وجه التحديد، وما تسمى دول منبع ومصب نهر النيل، إذ تشمل الأطماع الجوانب السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية، مما يشير إلى امتلاك إسرائيل لخارطة طريق تهدف لاختراق القارة بشكل كامل.

تتحدث التقديرات الإسرائيلية عن أن عدد سكان القارة الإفريقية سيرتفع من 1,3 مليار نسمة في 2020 إلى 2,5 مليار بحلول عام 2050، وسيعيش فيها ربع سكان العالم، وبحاجة لاستثمارات بقيمة 130-170 مليار دولار في مشاريع البنى التحتية، مما يستدعي من إسرائيل أن تجلب معها قدرات عالية المستوى في مجالات الزراعة والمياه، بجانب مجالات الاتصالات والقطاع الرقمي، بما في ذلك السيبرانية والاتصالات الخلوية والتكنولوجيا المالية والحوكمة، وهي مسائل عليها طلب كبير في إفريقيا.

عند تخصيص الحديث عن المشاريع الإسرائيلية في منطقة القرن الإفريقي، تظهر مجالات الزراعة والمياه، والاتصالات والعالم الرقمي، وباقي البوابات الاقتصادية، وهي تطمع أن يكون لتوجهها الاقتصادي نحو هذه المنطقة آثار وتبعات على نمو اقتصادها، وزيادة فرص العمل فيه، مع أن ميزان القوى الإسرائيلي الإفريقي يصل إلى مليار دولار سنوياً، وفقا لما ذكرته ياعيل تسادوك نائبة رئيس شعبة الاقتصاد بوزارة الخارجية الإسرائيلية [1].

يتوزع الاستثمار والتصدير الإسرائيلي في الدول الإفريقية عموماً، في ظل الإستراتيجية القائمة لتعزيز الدور الإسرائيلي في القارة الإفريقية.

(1) تامير موراج، تعاون إسرائيلي إماراتي لتوسيع مشاريعهما في إفريقيا، صحيفة إسرائيل اليوم، 2022/7/19، https://bit.ly/3zJCZbN

ويتركز الاستثمار الإسرائيلي في عدة مجالات وعبر عدة قنوات، ويهدف مساعدة المصدّرين الإسرائيليين على اختراق أسواق القارة، بما فيها دول القرن الإفريقي، ولذا تعتمد تل أبيب خطة تعيين موفدين تجاريين جدد في عدة دول.

تعتقد المحافل الإسرائيلية أن التطبيع مع دول القرن الإفريقي، سيحقق لها مكاسب إستراتيجية واقتصادية وأمنية، قد لا تقل في أهميتها عما حققته من التطبيع مع دول الخليج العربي، إنْ لم تكن أكثر، في ظل ما تتمتع به هذه الدول من أهمية إستراتيجية على المدى البعيد، ويزعم الإسرائيليون أن لديها عوامل أخرى للتطبيع كالحاجة لتطوير الحالة الزراعية والتكنولوجية والاقتصادية والطبّية [2].

تواصل إسرائيل، منذ سنوات، مدّ أذرعها السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية في دول القرن الإفريقي؛ من خلال الاستعانة بأدوار المال والاقتصاد لتحقيق هذا الاختراق، وما يحققه من حصاد عسكري واستخباري، ومحاولة الحصول على موطئ قدم وسط التنافس الإقليمي والعالمي على هذه المنطقة الحساسة من القارة الإفريقية.

ومن بين دول القارة الإفريقية البالغ عددها 54 دولة، تمتلك إسرائيل علاقات دبلوماسية مع 40 منها، وهناك 10 سفارات إسرائيلية نشطة في كل من: جنوب إفريقيا، كينيا، نيجيريا، الكاميرون، أنغولا، إثيوبيا، إريتريا، غانا، ساحل العاج، والسنغال، وفي باقي الدول يوجد سفراء غير مقيمين فيها بصورة دائمة، و15 دولة إفريقية لديها سفارات دائمة في إسرائيل [3].

هذه الورقة البحثية تسلط الضوء على أهم الأهداف الإسرائيلية المرجوة من اختراق منطقة القرن الإفريقي، ومساعيها لتحقيقها في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية.

(2) يارون فريدمان، اتفاقات أبراهام تتجه نحو إفريقيا، موقع نيوز ون، 2021/11/17 https://bit.ly/3nR4WvE

(3) يورام ألرون، توجه إسرائيلي بافتتاح المزيد من السفارات في إفريقيا، معاريف، 2019/4/2، https://bit.ly/3zHNJaS

• المصالح الأمنية والعسكرية

يمكن سرد أهم الأغراض الإسرائيلية ذات الطابع الاستخباري والعسكري في منطقة القرن الإفريقي، أهمها زيادة العلاقات والتنسيق مع دوله في مجالات الأمن ومحاربة الجماعات المسلحة، وزيادة حجم التنسيق الأمني والتعاون العسكري، وتعزيز مؤشرات دفء علاقاتهما، لا سيما تدريب الجيش الإسرائيلي لعدد من جيوش القرن الإفريقي الراغبة بالحصول على خبراته القتالية، وأهمها إثيوبيا وإريتريا وجنوب السودان، وتسمى الإستراتيجية التي تعمل عليها إسرائيل بـ "الدبلوماسية العسكرية"، وتشمل تدريبات مشتركة، وتعيين ملحقين عسكريين.

التركيز العسكري لإسرائيل في القارة الإفريقية جعلها متورطة في الحروب الأهلية للقارة، عَبْر صفقات بيع أسلحة وتدريب مقاتلين، وقد تحولت إسرائيل إلى واحدة من الدول العشر الأولى عالمياً ببيع السلاح لإفريقيا بقيمة 163 مليون دولار، بنسبة 2,5% من إجمالي صادراتها العسكرية للعالم، كما تجري إسرائيل اتصالات مع الدول الغربية لتسويق الأنظمة الإفريقية المتعاونة معها[4].

وتشمل الدورات التدريبية العسكرية الإسرائيلية للجيوش الإفريقية محاضرات صفية، ونماذج وأمثلة عملية، وعرض أفلام وثائقية، ومناورات على الأرض، واستخدام تكتيكات وحدات الكوماندوز، والدفاع عن المطارات المدنية وحمايتها، وعمليات البحث والإنقاذ، وخوض حروب العصابات غير المتناظرة [5].

(4) إيتي ماك، زبائن السلاح الإسرائيلي في إفريقيا، موقع محادثة محلية، 14 /2018/5، https://bit.ly/41hthsS

(5) عامي روحكس دومبا، مستقبل صفقات السلاح الإسرائيلية لإفريقيا، مجلة يسرائيل ديفينس، 21 /2019/1، https://bit.ly/3o3Ffbh

• العلاقات السياسية

سبق لرئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو أن زار عدداً من الدول الإفريقية في أعوام سابقة، بينها أوغندا وكينيا وإثيوبيا وجنوب السودان، بهدف ترميم العلاقات التاريخية معها، ومحاولة إيجاد موطئ قدم فيها للبحث عن صياغة خطوات عسكرية وأمنية وسياسية على المستوى الإستراتيجي، ظهرت ملامحها في التوجه الإسرائيلي نحو الدول الإفريقية المسيحية خصوصاً، المعروفة بدول منابع ومجرى النيل، وفي هذا السياق تم توقيع عدد من الاتفاقيات الأمنية والعسكرية والاقتصادية.

يأخذ توقيت تجدد العلاقات الثنائية بعين الاعتبار أن السياسة الإسرائيلية تجاه إفريقيا تعود لواحد من أقدم أعمدتها الإستراتيجية، التي رأت أن حصر المعركة مع العرب في الجبهة الحدودية الضيقة، لا يخدم إسرائيل لأسباب كثيرة، ولذلك لا بد من توسيعها، مما يعني أن التوجه الإسرائيلي الجديد نحو إفريقيا نابع من إدراكها المتزايد لأهميتها، كونها ساحة مهمة من ساحات إدارة الصراع "العربي – الإسرائيلي" من عدة زوايا، لعل أهمها إمكانية التأثير عبر دولها على عدد من الدول العربية ذات الموقع الإستراتيجي كمصر والسودان المعتمدتين على نهر النيل كشريان حياة أساسي يمدهما بالماء.

يرى عدد من دول القرن الإفريقي في تطبيع علاقاتها مع إسرائيل تعبيداً لطريقها نحو الولايات المتحدة، و"فتح بوابتها" أمامها[6]، بجانب التطلع الإسرائيلي لتغيير التصويت الإفريقي في الأمم المتحدة ووكالاتها لمنع اتخاذ قرارات معادية لها، فمن بين 1400 تصويت خاص بالصراع العربي الإسرائيلي منذ 1990، صوّتت إفريقيا لصالح إسرائيل في عدد قليل جداً منها.

يتمثل التطلع الإسرائيلي الأعلى بأن تصوّت دول القارة الإفريقية لصالحها، والأدنى أن تمتنع عن التصويت ضدها؛ مما سيحسّن وضع إسرائيل دولياً، وإلى جانب ذلك تسعى تل أبيب للتصدّي لتصاعد تواجد تركيا والصين في القارة، ومضاعفة عدد تمثيلاتهما الدبلوماسية، وتوسيع استثماراتهما[7]، فضلاً عن انتقال إسرائيل من مكانة "المراقب" في الاتحاد الإفريقي، والمشاركة بقممه الدورية؛ إلى العضوية الكاملة فيه، رغم معارضة عدد من دول القارة، خاصة الجزائر وجنوب إفريقيا، اللتين تقفان حائلاً أمام أي انضمام إسرائيلي لمؤسسات الاتحاد، لتبنيهما الرواية الفلسطينية، ودعمهما لـ"حركة المقاطعة العالمية" (BDS).

(6) جاكي خوجي، إسرائيل توثق علاقاتها بإفريقيا، والأهم استعادة السودان، معاريف، 2020/10/23، https://bit.ly/3ZWQxeW

(7) أريئيل كهانا، تحسن علاقات إسرائيل وإفريقيا من خارج الزاوية، صحيفة إسرائيل اليوم، 2020/11/16، https://bit.ly/3zKIlVt

• النفوذ الاقتصادي

فيما يوجد أمام إسرائيل ما قد تعطيه لإفريقيا، فإن لدى الأخيرة الكثير مما تعرضه عليها، وهي قارة مستهدفة بصورة مهمة من قِبل قطاع الصناعات والشركات الإسرائيلية التي لديها القدرة على المزيد من التوسع، واستغلال الفرص السانحة لديها في ظل المقدرات والإمكانيات الهائلة التي تحوزها، مع العلم أن التوجه الاقتصادي الإسرائيلي نحو إفريقيا سيكون له آثار وتبعات على نمو الاقتصاد المحلي، وزيادة فرص العمل والتشغيل [8].

ومن أهم المصالح الاقتصادية الإسرائيلية في دول القرن الإفريقي بناء البنية التحتية، واستخدام الموارد الطبيعية، وتقديم مساعدات في مجالات التكنولوجيا، والسايبر والفضاء، والتطوير الزراعي وتحلية المياه، وافتتاح خط طيران مباشر بينهما لتقريب علاقاتهما، واستغلال المجالات الجوية الإفريقية لأغراض سياحية.

إن تنامي العلاقات الإسرائيلية مع دول القرن الإفريقي، ووصولها لذروتها عبر الزيارات المتبادلة بين الوفود الاقتصادية والتجارية، أسهم بإفساح المجال أمام الشركات الإسرائيلية للعثور على فرص كبيرة للاستثمار، وفتح فروع في إفريقيا، وقد فتحت وزارة الاقتصاد الإسرائيلية الأبواب والاستشارات أمامها لتوسيع عملها، واختراق أسواق القرن الإفريقي، من خلال تأمينها من أي مخاطر قد تنجم عن الاستثمار هناك، والتقدير السائد اليوم أن أمام الشركات فرصاً لتحقيق أرباح بما قيمته سبعمائة مليون دولار أمريكي، والوزارة تبذل جهودها لمضاعفتها مرتين.

تشهد القارة الإفريقية نمواً اقتصادياً بطيئاً وتدريجيا أمام أعين الإسرائيليين، ورغم وجود التحديات فيها، لكنها تحتوي على العديد من الفرص في الوقت ذاته، ليست متوفرة في العديد من أسواق العالم الأخرى، مع العلم أن التوجه الاقتصادي الإسرائيلي نحو إفريقيا يأتي بعيداً عن النظرة السلبية التي سادت عنها في العقود الماضية [9].

(8) إلداد باك، الربيع الإسرائيلي يزهر في إفريقيا، إسرائيل اليوم، 2018/11/26، https://bit.ly/3zHQetM

(9) عامي روحكس دومبا، 007 مليون دولار بانتظار الشركات الإسرائيلية في إفريقيا، مجلة يسرائيل ديفينس، 2018/10/18، https://cutt.us/To0SK

بعد هذا الاستعراض العامّ للتوجهات الإسرائيلية نحو القرن الإفريقي، يمكن تقديم قراءة تفصيلية لكل دولة من دوله على حِدَةٍ، والتطلعات الإسرائيلية باتجاه كل واحدة منها، على النحو التالي:

السودان

وضعت زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي إيلي كوهين إلى السودان في 3 شباط/ فبراير 2023 أهم الأسس لاتفاق التطبيع، بعد سنوات من اتصالاتهما السرية، وقال الوزير: "إن اتفاق السلام مع السودان سيعزز الاستقرار الإقليمي، ويسهم بالأمن القومي لإسرائيل، وسيفتح الباب أمام إقامة علاقات مع الدول الأخرى في القارة الإفريقية، وتعزيز العلاقات القائمة مع دولها".

يتوقف الإسرائيليون مطوّلاً عند تطبيعهم مع الخرطوم، كونها المكان الذي قررت فيه الدول العربية اللاءات التاريخية الثلاثة في قمة 1967: "لا سلام، ولا مفاوضات، ولا اعتراف بإسرائيل"، لكن اليوم يتم بناء واقع جديد معها، يصبح فيه الشعار: "نعم للمفاوضات، ونعم للاعتراف، ونعم للسلام مع إسرائيل"، وفق كلام كوهين ذاته، الذي التقى مع الزعيم السوداني الجنرال عبد الفتاح البرهان، وبحث معه سُبل إقامة علاقات مثمرة، وتعزيز التعاون في المجالين الأمني والعسكري [10].

مع العلم أن الاتصالات السرية بين تل أبيب والخرطوم بدأت بين 2018 و2020، وأفضت في شباط/ فبراير 2020 لعقد لقاء تاريخي بين البرهان ونتنياهو في عنتيبي عاصمة أوغندا، دون التوصل لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة، أو نشر صورة مشتركة لهما، لكن الأخير أكد حينها وجود اتفاق لبدء التعاون تمهيداً لتطبيع علاقاتهما، وبعد ثمانية أشهر ألغى السودان قانون المقاطعة ضد إسرائيل الصادر عام 1958، ثم صياغة اتفاق لقبول عودة 12 ألف لاجئ سوداني لجؤوا لإسرائيل في سنوات سابقة.

وقد سبق لكوهين زيارة السودان في 2021 حين كان وزيراً للمخابرات، وتحدث مع البرهان عن قضايا الأمن والاستخبارات، واتفق معه على البدء بمشاريع جزئية في مجالات الطاقة المتجددة والصحة والطيران وصناعة الأسمدة وزراعة المحاصيل ومجال الألبان، دون الحديث عن فتح سفارة سودانية قريباً في تل أبيب، زاعماً أنه استُقبل في الخرطوم بدفء كبير، بصحبة وفد رسمي ضمّ عسكريين ومسؤولين سياسيين [11].

كما وافقت الخرطوم على إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل بوساطة أمريكية، وجرى اتصال هاتفي بين الرئيس دونالد ترامب والبرهان ونتنياهو، الذي أعلن نهاية أكتوبر 2020 أن إسرائيل ستسلّم السودان شحنة دقيق بخمسة ملايين دولار، وبعد شهر وصل وفد إسرائيلي للسودان لأول مرة؛ لإجراء مناقشة حول الاعتراف المتبادل، وفي كانون الثاني/ يناير 2021 وقّع السودان على الجزء الإعلاني من اتفاقيات التطبيع في السفارة الأمريكية بالخرطوم بحضور وزير الخزانة ستيفن منوشين [12].

(10) دانيئيل سلاما، سنوقع قريباً على اتفاق تطبيع مع السودان، صحيفة يديعوت أحرونوت، 2023/2/2، https://bit.ly/3nXNSnS

(11) نينا فوكس، نحو خطوة جوهرية باتجاه السودان، صحيفة يديعوت أحرونوت، 2023/2/2، https://bit.ly/3ZUO0Sr

(12) إيتمار آيخنر، وفد إسرائيلي رفيع المستوى في السودان، صحيفة يديعوت أحرونوت، 2023/2/2، https://bit.ly/3GzTf31

لقد شكلت زيارة كوهين الأخيرة للخرطوم قمة جبل الجليد في علاقاتهما السرية، تخللها الكثير من التفاصيل المخفية التي أفضت قبل أكثر من عامين للإعلان عن إنهاء الأعمال العدائية المتبادلة، وقرب التوقيع على اتفاق تاريخي، بالتزامن مع إجراء العديد من الاتصالات في معظم دول القارة الإفريقية، لا سيما تلك التي لا ترتبط بإسرائيل بعلاقات رسمية، مما جعل من العلاقة مع السودان ذات أولوية قصوى لديها، بجانب عدة دول إفريقية.

ورغم مضي أكثر من عامين على التطبيع السوداني الإسرائيلي شبه الرسمي، فلا توجد سفارات بينهما، ولا اتفاقيات متبادلة من أي نوع، ولا خطوط طيران، وعلاقاتهما ما زالت عالقة، وما تم إنجازه محدود فقط، وحكومة الخرطوم تعمل كإدارة مؤقتة، ولعلها أحد الأسباب الرئيسية للتأخير؛ لأن بعض القرارات تتطلب استفتاءً عامّاً.

يشكل التطبيع الإسرائيلي مع السودان، دراسة حالة، من ناحية الحديث عن آثاره ومساهمته في إحكام القبضة الإسرائيلية على القارة الإفريقية، ومن أهمها:

- اقتصادياً: ستكون السودان سوقاً متطورة للبضائع الإسرائيلية.
- إستراتيجياً: ستمنح إسرائيل قطاعاً طويلاً على البحر الأحمر، بفضل علاقاتها مع إثيوبيا وإريتريا ومصر.
- سيأخذ الوجود الإسرائيلي اتساعاً واضحاً بالمنطقة المضطربة، التي تشمل مصر وتشاد وجنوب السودان.
- إعادة اللاجئين السودانيين المتسللين لإسرائيل إلى بلادهم.
- السماح برحلات جوية إسرائيلية من وسط إفريقيا، وتقصير الرحلة لأمريكا الجنوبية بساعتين كاملتين، وقد شهد عام 2020 مرور طائرة "العال" في الأجواء السودانية.
- تحقيق "انتصار" رمزي لإسرائيل، فالتطبيع يتم مع الخرطوم صاحبة "اللاءات الثلاثة"، وطي صفحة العداء الثنائي الممتد معها عقوداً طويلة، بعد أن قاتلتها مع عدة دول عربية، وساعدت بنقل شحنات الأسلحة لحماس في غزة [13].

من الأهمية بمكان ربط التطبيع الإسرائيلي السوداني الجاري مع التطورات الداخلية في الخرطوم عقب الإطاحة بالنظام السابق في 2019، وتواتر الأنباء عن زيارة سرية لوفد أمني إسرائيلي إلى الخرطوم، واجتماعهم بنظرائهم العسكريين السودانيين، وفيما حظي الانقلاب بإدانات دولية، لكن تل أبيب التزمت الصمت، مما قد يشير إلى أنها راضية عنه، وربما داعمة له.

لم يكن سرّاً أن إسرائيل لديها قائمة مطالب وأهداف من التطبيع مع السودان، أهمها ابتعاده عن إيران، والاقتراب من السعودية والإمارات، تمهيداً لرفع العقوبات الأمريكية عنه، وإخراجه من قائمة الدول الداعمة للإرهاب.

(13) جاكي خوجي، ميلاد العلاقات الاسرائيلية السودانية، صحيفة معاريف، 2020/10/24، https://bit.ly/40YcOu4

جنوب السودان

قديمة هي العلاقات الإسرائيلية مع جنوب السودان، وقد اعتمدت على جملة من الأغراض المتعددة، ومنها:

- إنشاء قاعدة جوية بولايتَي "الوحدة وأعالي النيل"، مما أشار لتطوير تعاون عسكري يشكل خطراً على السودان والدول المجاورة، في ظل الزيارات الإسرائيلية المتكررة لمدينة "جوبا" لتطوير العلاقات الدبلوماسية وتنفيذ مشروعات مشتركة.
- تكثيف المساعدات الاستخبارية والتدريبات العسكرية في تدريب قوات الشرطة والحرس الرئاسي، ونقل المهارات التقنية عبر برامج تدريبية معينة، وتزويدها بخبراء إسرائيليين، وإنشاء شركات مشتركة لنقل الخبرات والمهارات الإدارية.
- عقد صفقات بيع الأسلحة للمساهمة في استمرار واقع الصراعات والحرب الأهلية، وإدرار مبالغ طائلة تنعش الخزينة الإسرائيلية بمليارات الدولارات، وبلورة تحالف أمني عسكري لتشكيل حزام أمني في مواجهة القوى الإسلامية الصاعدة.
- تشكل جنوب السودان المخرج الجنوبي لإسرائيل جواً وبحراً، كونها وغيرها من دول القرن الإفريقي تسيطر على ممرات الملاحة إلى إيلات، وقريبة من مصر والسعودية.
- مواجهة الخلايا الإسلامية المتماثلة مع تنظيم القاعدة، ووقف التغلغل الإيراني فيها.
- المصالح الاقتصادية الإسرائيلية في الزراعة والاتصالات والبنى التحتية، والتصدير الأمني وصادرات السلاح.

وقد أمر رئيس الأركان السابق بيني غانتس بإعداد قوة بحجم لواء يتشكل من منتسبين لوحدة "كركيل"، وتعني "قط الصحراء"، لإرسالها لجنوب السودان بناء على طلب نظيره "جيمس هوث"، بهدف تدريب وتأهيل قوات الجنوب على أساليب الحرب النظامية، وخوض المعارك الخاصة ضد جيش نظامي، فيما يُتهم يسرائيل زيف المسؤول السابق بوزارة الأمن بإذكاء الحرب الأهلية في السودان، وتقديم المساعدات لجنوبه، وإبرام صفقات لبيع الأسلحة بقيمة 150 مليون دولار.

أشرف يسرائيل زيف على مشروع "أفق أخضر" Green Horizon، ويشبه كثيراً المشروع الذي أقامته الحركة الصهيونية قبل مئة عام، ويقوم على حيازة الأراضي وتشجيرها، والمسؤولون الجنوب سودانيين يطلقون عليه لقب "الجنرال"، حيث وصل السودان في 2008، فيما كانت الحرب الأهلية مع شمال السودان في ذروتها، وطلبوا استشارات عسكرية منه، كما التقى زعيم الجنوب السابق سيلفا دي كير، القائد السابق لجيش التحرير الشعبي للسودان، وأقام علاقات وثيقة بالقادة المحليين، معتبراً نفسه سفيراً إسرائيلياً هناك.

وبعد إقامة جنوب السودان علاقات رسمية مع إسرائيل، قدمت لها الأخيرة مساعدات طبية وإنسانية، وأقامتا العلاقات الدبلوماسية، واليوم في جوبا هناك سفير إسرائيلي غير مقيم هناك، بل يتردد على العاصمة كل عدة أشهر، والعديد من الإسرائيليين يأتون لجنوب السودان للبحث عن أعمال وعلاقات تجارية، وقد حظيت الشركة التي يملكها زيف "غلوبال سي إس تي" بمناقصة حكومية في جنوب السودان بقيمة 45 مليون دولار لمدة خمس سنوات، لإقامة أربع مزارع كبيرة، لمحاكاة تجربة شركة تنوفا الإسرائيلية لإنتاج الحليب، وأشرف على هذه المشاريع العديد من الكوادر البشرية الإسرائيلية، لإعادة ذات التجارب الإسرائيلية في أوكرانيا وأنغولا وتنزانيا[14].

الجنرال ديفيد بن عوزيئيل الملقب بـ"طرزان" رئيس طاقم جهاز الموساد في جنوب السودان منذ عقود، كشف أن مهمته تركزت أواخر ستينيات وأوائل سبعينيات القرن العشرين على تجهيز البنية التحتية لبناء جيش جنوب السودان، وبدأ العمل على بناء جيش نظامي من ألف جندي، بغرض استنزاف الجيش السوداني في الشمال أولاً، وثانياً إشغاله عن التحالف مع نظيره المصري لمواجهة إسرائيل، وثالثاً تقوية العلاقات الإسرائيلية مع دول إفريقية مهمة مثل كينيا وإثيوبيا[15].

شكّلت إقامة دولة جنوب السودان في خاصرة السودان تطوراً سارّاً لإسرائيل، التي شهدت ميلاد دولة أعدت لها العدّة والدعم منذ سنوات بعيدة، تنفيذاً لإستراتيجية حددها "دافيد بن غوريون" لتكثيف العلاقات مع الجماعات العرقية والأقليات الطائفية ، أسماها بـ"شد الأطراف"، وقد بدأت اتصالات إسرائيل مع الجنوبيين من قنصليتها في أديس أبابا، ولعبت شركاتها كـ"واجهة" استخدمت لإجراء الاتصالات، ووقع الاختيار على أقوى قبائل المنطقة لتكون الباب الذي تتسلل منه إسرائيل إلى الجنوب، وتتغلغل في شرايينه.

مرّت العلاقات الإسرائيلية مع جنوب السودان، بعدة مراحل أهمها:

- تقديم المساعدات الإنسانية كالأدوية والمواد الغذائية والأطباء والدعم الإغاثي.
- استثمار التبايُن القبلي بين الجنوبيين أنفسهم، وتعميق هُوّة الصراع مع الشماليين.

(14) يوآف ليمور، الاتفاق الإسرائيلي مع السودان ضربة لإيران والقوى المعادية، إسرائيل اليوم، 2020/10/25، https://bit.ly/3zHgO6l

(15) شمعون كوهين، مهمة الموساد في صحراء السودان، القناة السابعة التابعة للمستوطنين، 2018/3/27، https://bit.ly/3UnlU0R

- تدفق صفقات الأسلحة عليه، واتساع نطاق تدريب الميليشيات الجنوبية في أوغندا وإثيوبيا وكينيا.
- استئناف دعم التمرد المسلح، وتزويد الحركات الانفصالية الجنوبية بأسلحة متقدمة، وتدريب العشرات من طياريها على قيادة مقاتلات خفيفة للهجوم على المراكز الحكومية.
- إيفاد بعض الخبراء الإسرائيليين لوضع الخطط والقتال بجانب الانفصاليين، ومشاركة بعضهم في العمليات التي أدت لاحتلال بعض مدن الجنوب السوداني.

لم تُخفِ الحركة الشعبية في جنوب السودان حجم وطبيعة العلاقات الأمنية والعسكرية التي تربطها بإسرائيل، فقد استقبلت حزمات جديدة من أسلحتها، شملت صواريخ "أرض- جو"، ومضادات طائرات، وعربات مدرعة، وأعلنت أن طيارين من عناصرها يتدربون تحت إشرافها، تمهيداً لتحقيق المرامي الإسرائيلية من تحقيق الانفصال، ومن أهمها:

- الاتفاق على فتح مطار جوبا أمام طيران شركة "العال" الإسرائيلية.
- افتتاح مجموعة "شالوم المتحدة" شركة صيرفة في جوبا، وتوسّع أنشطتها.
- سيطرة "الجالية" الإسرائيلية في جنوب السودان على قطاع الفنادق، الأكثر ربحية في جنوب السودان.
- فتح مكاتب تمثيل للجنوبيين في تل أبيب، وتوثيق العلاقات التجارية والاقتصادية معها.
- تنظيم رحلات جوية إثيوبية منتظمة تربط "جوبا" في جنوب السودان، بأديس أبابا وتل أبيب.
- استقبال إسرائيل لخمسة آلاف عنصر لتدريبهم عسكرياً، للتعامل مع مرحلة ما بعد الانفصال.
- إقامة جسر جوي لنقل السلاح من إسرائيل لإفريقيا الوسطى، ومنها تُحمَل براً إلى جوبا.
- وصول ألف من الخبراء الإسرائيليين بمختلف المجالات إلى جوبا للسيطرة على الدولة الناشئة، متخصصين في الزراعة والتعدين والاقتصاد، والفنون والسياحة والإدارة.

تتجاوز المرامي الإسرائيلية السياسية والإستراتيجية بتشجيعها لانفصال جنوب السودان، هذه البقعة الجغرافية، وصولاً لعواصم عربية مجاورة، وربما تبدو مصر الأكثر استهدافاً، لا سيما إنْ كان المدخل الأكثر خطورة يتمثل بمياه نهر النيل، فليس من شك أنه يمثل شريانها الحيوي، وإذا انقطع، فقد فصل الأوكسجين عنها، وإذا كانت كينيا وإثيوبيا وأوغندا تشكل دول المنبع، فالسودان دولة الممر الرئيسية، وهنا تظهر أهمية الحراك الإسرائيلي.

صحيح أن الحكومات السودانية المتتالية منذ الاستقلال وحتى اليوم، تحاشت المسّ بمياه النيل، والحصة السودانية المفترضة من مياهه، التي تذهب طوعاً إلى مصر، لكن الوضع سيكون مختلفاً في جنوب السودان، حيث لا يربطها ما يربط أهل شماله مع مصر، كما أن قرار الجنوب السياسي يبدو مصادراً في تل أبيب وواشنطن وبروكسل، ولذلك لم يكن مستغرباً أن تركز إسرائيل على النيل في السنوات الأخيرة لضمان الإمساك بأقوى ورقة للضغط على مصر.

جاء تركيز إسرائيل على جنوب السودان جزءاً من إستراتيجيتها إزاء البحر الأحمر، الذي اعتبرته منذ البداية منفذاً حيوياً للغاية، حرصت على أن تبقيه حراً أمام سفنها، وخشيت أن يصبح بحيرة عربية، يمكن استخدامه لحصارها، تكراراً لما حدث في حربَيْ 1967 و1973 عندما أغلقت الدول العربية مضيقَيْ تيران وباب المندب على التوالي، وسعت إسرائيل لإقامة عدة قواعد عسكرية موجهة ضد الدول العربية عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، إضافة للقواعد الجوية في إثيوبيا وكينيا وتشاد، والوجود الجوي في غينيا، والمناطق المجاورة لحدود السودان، وتبين لاحقاً أن مهمتها تمثلت بمراقبة الحدود الليبية والسودانية.

مع التأكيد على أن مصالح إسرائيل الإستراتيجية في جنوب السودان كبيرة، خاصة أن حقيقة انفصاله وجد مساندة قوية من اليمين المسيحي المتصهين في الولايات المتحدة، للحدّ من المدّ العربي والإسلامي داخل القارة الإفريقية، مما جعل من جنوب السودان قاعدة عسكرية إسرائيلية.

الصومال

تواصل إسرائيل دبلوماسيتها باتجاه القارة الإفريقية في ضوء شبكة المصالح التي قد تحققها من التقارب مع بعض دولها، وآخرها الصومال بدولتيه: الصومال وإقليم أرض الصومال، ولكل منهما موقف مختلف من إسرائيل، علماً بأن الصومال من الدول المعدودة جنوب خط الاستواء التي لم تُقم معها إسرائيل علاقات دبلوماسية في سنوات الستينيات حين حظيت معظم الدول الإفريقية بالاستقلال، ومعظم سكانها مسلمون، وتمرّ بتأثيرات عربية واضحة، وفي 1967 تم طرد اليهود منها، وبقيت من الدول الإفريقية التي اتبعت سياسة معادية لإسرائيل ومؤيدة للفلسطينيين في الساحة الدولية والمنتديات العالمية، حتى أن رئيسها محمد عبد الله فرماجو رفض لقاء نتنياهو خلال زيارته كينيا في 2017.

أما حكومة الصومال الفيدرالية فمعنية بعلاقات مع إسرائيل لخبرتها بمحاربة الجماعات المسلحة، وفي إبريل 2016 تحدثت الصحافة عن لقاء نتنياهو بالرئيس الصومالي السابق (آنذاك، وهو الرئيس الحالي) حسن شيخ محمد في نيروبي [16]، لكن الخارجية الصومالية نفت الأمر [17]، وفي 2017 استنكر علماء مسلمون صوماليون وضع إسرائيل للبوابات الإلكترونية في المسجد الأقصى [18].

في المقابل، فإن إقليم أرض الصومال حالة مختلفة كلياً، فقد دعا لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، كي يحظى باعترافها به كدولة مستقلة، حيث لديهما قواسم مشتركة عديدة، فقد حكمهما الانتداب البريطاني، ومعظم الدول العربية تناصبهما العداء، بل إن النخب الأكاديمية والإعلامية ورجال الأعمال والمجتمع المدني في الإقليم يدعمون إقامة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، التي تبدو مصالحها واضحة [19]، وعلى رأسها:

- تغيير موجة التصويت في المؤسسات الدولية لصالحها.
- تمهيد الطريق أمامها للحصول على مقعد مراقب في الاتحاد الإفريقي.
- توسيع رقعة التجارة البينية.
- التفوق على النفوذ والتأثير الإيراني فيها.
- دعمها في مجالات الزراعة والأمن.
- تأسيس موطئ قدم في خليج عدن والبحر الأحمر في ضوء حرب اليمن، والمخاطر المُحدِقة على الملاحة الدولية.

رغم كل ذلك، فإن إسرائيل لا تريد أن تكون الدولة الأولى في العالم التي تعترف بإقليم أرض الصومال، ولذلك فإن فرص إقامة علاقات دبلوماسية معها مستبعدة جداً، وقد تكتفي تل أبيب بالعلاقات التجارية المتبادلة، لأن مسألة العلاقات مع الصومال أكثر تعقيداً، فالرئيس الحالي قريب من محور قطر وتركيا، والموقف الرسمي معادٍ لإسرائيل، ومتعاطف مع الفلسطينيين، مما يجعل من إقامة العلاقات مع إسرائيل غير وارد في هذه المرحلة [20].

(16) Somalia's president recently held first-ever meeting with Israeli PM, Times of Israel, 5/7/2016: https://bit.ly/3UkNdck

(17) The Israel-Somalia relations rumour was false, Somali spot, 6/7/2016: https://bit.ly/3KrPf5K

(18) Somali Islamic scholars condemn Israel over al-Aqsa mosque stand-off, Goobjoog News, 23/7/2017: https://bit.ly/403jPIY

(19) Jerusalem Post ,Israel and Somaliland – long-lost brothers, 19/11/2018: https://bit.ly/3Gv3sxR

(20) موشيه تريدمان، إسرائيل بعيون صومالية، منتدى التفكير الإقليمي، 2019/3/10، https://bit.ly/3Gv3sxR

إريتريا

تعتبر مسألة إقامة علاقات إسرائيلية مع إريتريا فرصة لا تعوّض بالنسبة لتل أبيب، لأنها تعني تغييراً في جبهة البحر الأحمر، وتحولاً دراماتيكياً في خارطة التحالفات الإسرائيلية بهذه المنطقة، وهو يحقق لها فوائد سياسية واقتصادية وأمنية غير مسبوقة، فموقع إريتريا الجيوسياسي يجعلها كنزاً يصعب التفريط فيه، فهي دولة صغيرة، لكن إطلالتها على البحر الأحمر مقابل السعودية واليمن يجعلها على تواصُل مع المحيط الهندي، وعلى طرق الملاحة باتجاه إيران.

تقيم إسرائيل في إريتريا قواعد عسكرية، ومحطة تنصت عند جبال "أمافا-ساوارا" وأرخبيل جزر دهلك في البحر الأحمر، ولديهما علاقات دبلوماسية منذ استقلال عام 1993، بل إن رئيسها السابق آسياس أفورقي تلقى العلاج من مرض الملاريا في إسرائيل، وطبيبه الخاص هو أفرايم سنيه وزير الصحة ونائب وزير الحرب الإسرائيلي السابق [21].

مع العلم أن التقارب الإسرائيلي الإريتري يمنح الأولى إمكانية التأثير على مجريات المحيط الهندي، ومحاولة وضع موطئ قدم لها في خليج عدن وجيبوتي، ويسهم في مواجهة التهديدات التي تستهدف إسرائيل على خلفية الحروب الدائرة في الصومال واليمن، والمخاطر الناجمة منها على حرية الملاحة في البحر الأحمر الذي بات الخط البحري الأكثر ازدحاماً في العالم.

وتحولت شواطئ البحر الأحمر لمكان للتنافس على السيطرة عليه بين الدول الكبرى في المنطقة والعالم، التي لم تتردد بإنشاء قواعد عسكرية لكل منها للحفاظ على موطئ قدم لها في المنطقة، وتندرج إسرائيل ضمن الدول الساعية لأن تكون قوة إقليمية لها قواعد عسكرية فيه لتأمين ملاحتها البحرية، وإحباط تهريب السلاح الإيراني عبر سيناء لقطاع غزة.

وأُصيبت العلاقات "الإسرائيلية – الإريترية" بسلسلة انتكاسات دبلوماسية، إذا يتهم الإريتريون إسرائيل بمساعدة الجبهة الشعبية لتحرير إقليم تيغراي التي تقاتلها كل من إثيوبيا وإريتريا معاً، ومع مرور الوقت تضاءلت أهمية إريتريا لدى تل أبيب، بسبب دفء العلاقات مع السودان وجيبوتي، كما أن إريتريا تصوت بانتظام ضد إسرائيل في الأمم المتحدة وتُعتبر من أبرز المعارضين لعودة تل أبيب مراقباً في الاتحاد الإفريقي [22].

(21) فازيت رابينا، هل تخوض إريتريا سياسة خوف موجهة تجاه إسرائيل، مكور ريشون، 2018/6/5، https://bit.ly/3KrPSfC

(22) إيتمار آيخنر، إسرائيل تقرر إغلاق السفارة في إريتريا، صحيفة يديعوت أحرونوت، 2022/7/9، https://bit.ly/3nOrw8b

إثيوبيا

تقارب الإسرائيليون مع إثيوبيا من الزاوية اليهودية، وقدموا مساعدات كبيرة لها في سنوات وعقود ماضية خلال حربها مع إريتريا، واعتبرت علاقاتهما نموذجاً للتحالف الإسرائيلي الكبير مع جهات غير عربية وغير إسلامية في المنطقة، وتظهر وثائق وأبحاث وأرشيف وزارتَي الخارجية الإسرائيلية والأمريكية تفاصيل جديدة ومؤثرة حول حجم المباحثات التي شهدها مقر وزارة الدفاع الإسرائيلية والبيت الأبيض، وأدت في نهايتها لنشوء مباحثات إستراتيجية مع أديس أبابا، المطلّة على البحر الأحمر، بما يشمله ذلك من باب المندب جنوباً، وجزيرة تيران شمالاً، مما يعني أنه أصبح لديها علاقات وثيقة مع إسرائيل، ودفعها لتوثيق صلاتها بها منذ زمن الإمبراطور هيلاسيلاسي.

أشرف على هذه الاتصالات أوري لوبراني السفير الإسرائيلي الأسبق في أوغندا وإثيوبيا وإيران، وعدد كبير من المسؤولين السياسيين وضباط الجيش والموساد ووزارتَي الخارجية والأمن، بعضها من خلال اتصالات علنية، ومعظمها بصورة سرية، وبموجب هذه الاتصالات تعهدت إسرائيل بتوفير الحماية الأمنية للإمبراطور، وتدريب جيشه، وإمداده بالمعلومات الاستخباراتية اللازمة، وقد تفاوضتا عقب حرب 1967 لإقامة قاعدة عسكرية في باب المندب بالتعاون مع إيران، لكبح جماح النفوذ السوفييتي المتزايد آنذاك في المنطقة، وإحباط التهديد المصري عقب فقدانها سيناء وشرم الشيخ، وكُشف النقاب عن لقاء جمع وفدين كبيرين، شارك في أحدهما رحبعام زئيفي، اليميني العنصري الإسرائيلي الذي اغتالته المقاومة الفلسطينية في 2001.[23]

البحر الأحمر

سعت إسرائيل من التطبيع مع دول القرن الإفريقي لعدم تحوّل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية، والتوسع على حساب متطلبات الأمن القومي العربي في المنطقة، لا سيما أن الموقع الإستراتيجي للقارة يمتاز بالإطلالة على البحرين الأحمر والمتوسط، إضافة إلى المحيط الأطلسي، وبها أهم ثلاثة مضايق لها تأثيرها على حركة التجارة العالمية، ولهذا فإن من الأهداف الإسرائيلية غير السرية في الذهاب تجاه إفريقيا إحداث شلل في الوجود العربي، ومحاصرة المصالح المشتركة بين الدول العربية.

(23) أمير أورن، كشف النشاط العسكري الإسرائيلي في إثيوبيا وإريتريا، موقع "ويلا" الإخباري، 2018/7/19،
https://bit.ly/3zJk94D

لعل أهم الأهداف التي سعت إسرائيل لتحقيقها في القرن الإفريقي، ضمان بقائها ووجودها، وحفظ أمنها، والاستفادة البيئية الإفريقية لكسر حاجز عزلتها العربية، والطوق المفروض عليها سياسياً واقتصادياً، والخروج منه لما وراء إفريقيا، وتطويق الأمن المائي العربي، وتهديد أمن مياه النيل، والسيطرة على الملاحة في البحر الأحمر عبر موانئه، وصولاً للسيطرة على اقتصادات الدول العربية ضمن هذا الهدف لعرقلة نموها، وخلق تيارات مناهضة للعرب، ومؤيدة لإسرائيل في إفريقيا.

من الواضح أن التمدد الإسرائيلي في القرن الإفريقي مرتبط بأهمية البحر الأحمر، الذي يتقاسم حدودَه عددٌ من الدول العربية مجتمعة، وبدون هذا المنفذ البحري، ستبقى صلات إسرائيل منقطعة مع إفريقيا وآسيا، وقد اكتشفت هذه الحقيقة في حرب 1973 عندما تم إغلاق باب المندب في وجهها، وانطلاقاً من ذلك ستحاول جاهدة الاستفادة لأقصى درجة من أجل تدعيم احتياجاتها الخاصة بالهيمنة والتوسع.

وزير الأمن الإسرائيلي السابق بيني غانتس زعم أن البحر الأحمر يشهد تحركاً عسكرياً من إيران، وأن سفنها العسكرية قامت بدوريات في الأشهر الأخيرة، مع توفُّر صور أقمار صناعية تشهد على تواجُدها، بهدف توسيع عملياتها في المنطقة، ولعله التواجد الأكبر لها في البحر الأحمر منذ عقد من الزمن، فيما نشر الجيش الإسرائيلي واحدة من غواصاته وسفن الصواريخ التابعة له فيه كرسالة موجهة لطهران، بعد أن رست في القاعدة البحرية في إيلات لتحقيق تفوقها البحري، والحفاظ على حرية العمل فيه، والتدرب على توسيع العمليات في المنطقة، ضمن تدريب طويل المدى يحاكي سيناريوهات مختلفة[24].

تخشى المستويات الأمنية والعسكرية والسياسية في إسرائيل أن تصبح اليمن جبهة مواجهة أخرى مع إيران، بسبب خطر الحوثيين على سفن إسرائيل في البحر الأحمر، مع ما يشهده من تصعيد لأنشطتهم فيه، كما تقوم إيران بتهريب كميات كبيرة من الأسلحة إليهم في اليمن عبره، وبات لديهم صواريخ بعيدة المدى قد تضرب مدينة إيلات وبئر السبع والسفن الإسرائيلية المبحرة في البحر الأحمر ومضيق باب المندب، ويستخدمون الألغام البحرية والقوارب المتفجرة الصغيرة التي تنفذ تفجيرات انتحارية على السفن الكبيرة، ولذلك تعمل إسرائيل والولايات المتحدة سوية في وسط البحر الأحمر، وتتبادلان المعلومات الاستخباراتية، لإحباط الجهود الإيرانية[25].

(24) أمير بوخبوط، التواجد العسكري الإيراني في البحر الأحمر، موقع "ويلا"، 2022/7/5، https://bit.ly/3GuQrEm

(25) يوني بن مناحيم، الجبهة الإسرائيلية الجديدة في اليمن، موقع زمن إسرائيل، 2021/1/6، https://bit.ly/3zJJThd

خلاصة

يَتّسِق التوجّه الإسرائيلي نحو دول القرن الإفريقي مع إدراك إسرائيل لأهمية القارة الإفريقية، فهي كبيرة جغرافياً، وغنية بثرواتها الطبيعية، وتعتبر عمقاً إستراتيجياً للمنطقة العربية، ولهذا تسعى تل أبيب لاختراق دول القرن أمنياً واقتصادياً، لذا فإن العلاقات الثنائية بين إسرائيل والدول الإفريقية تشهد تحسّناً مستمراً، وتخضع لاعتبارات متعددة، تبدأ بفتح قنوات جديدة لتعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية، في مجالات الطاقة والزراعة والري والبنى التحتية والأمن، ولا تنتهي عند تسويق السلاح، واحتواء الدور الإيراني المتزايد فيها.

ويمكن الحديث عن جملة عوامل ساهمت بشكل كبير برجوع إسرائيل بقوة لدول القرن الإفريقي، وبدء ما أُطلق عليه إسرائيلياً "الربيع الإسرائيلي" في هذه المنطقة.

وقد انعكس الاهتمام الإسرائيلي في مرافقة جميع الزيارات السياسية الرسمية الإسرائيلية لدول إفريقيا عموماً، والقرن الإفريقي خصوصاً، بوفود كبيرة من الخبراء والمستشارين السياسيين والعسكريين والأمنيين، وعدد كبير من التجار ومندوبي مصانع ومعامل وشركات إسرائيلية كبرى، إضافة لضباط أمنيين وعسكريين متقاعدين، مما يؤكد أن إسرائيل، الدولة القائمة على ضلعَي الجيش والأمن، تُكثف جهودها العسكرية والاستخبارية في بلدان القرن الإفريقي، لاعتبارات تخصّ أمنها القومي.

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net